Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا تجاوزنا هذا التباين العام في تقييمها، نجد أغلب المستشرقين أعطوها حقها من الاهتمام، وكرسوا لها زمنا طويلا لدراستها أو نقلها. ومن جماع نتائج هذه الأبحاث تكونت معرفة دقيقة نسبيا بهذه السير، ولا سيما في الجانب التاريخي. ونجد صدى لهذه المعرفة في مختلف الدراسات العربية، غير أن بعضهم يشير إلى المصادر التي استقى منها معلوماته، وهم قلة، أما الآخرون فيقدمونها لنا على أنها نتيجة تحرياتهم وكشوفاتهم بطريقة ضمنية. ذلك لأن هؤلاء المستشرقين يولون أهمية قصوى لتحقيق النص والبحث فيه من الزاوية التاريخية. وأغلبهم في هذا المضمار، إن لم أقل كلهم كانوا متأثرين بإنجازات الدراسة الأدبية العلموية للقرن التاسع عشر (برونتيير - تين - سانت بيف...). ويظهر لنا هذا، كما نستخلص ذلك من مختلف المواد المتعلقة بالسيرة الشعبية في «الموسوعة الإسلامية»[40] (الطبعة الجديدة 1975) كيف أنهم ينطلقون أولا من تقديم صورة عامة عن السيرة، ويردفونها بالحديث عن العناصر التي تتكون منها وأخيرا عن تشكلها من حيث الزمان والمكان. وهم في مختلف هذه النقط يعتمدون المعطيات التاريخية الخارجية، ومما يقدمه النص من إشارات يسعون إلى الكشف عن دلالاتها عن طريق المقارنة واعتماد التاريخ كأساس للتفسير وإزالة الغموض أو الإبهام. ولم يقتصر هذا على ما قدم في «الموسوعة الإسلامية»، ولكن في مختلف كتاباتهم عن السير الشعبية.

يمكننا تقديم صورة عن أعمالهم من خلال ما كتبه كانار عن سيرة ذات الهمة وفيلتشنسكي عن سيرة سيف بن ذي يزن لإبراز كيف يحددون السيرة ويشتغلون بها.

1. كانار وذات الهمة: كرس ماريوس كانار عدة دراسات حول سيرة الأميرة ذات الهمة. ومن أولاها تلك التي نشرت سنة 1937 في مجلة (Byzantion)، والتي خصها بتعريف هذه السيرة الشعبية وتلخيصها. كما نجد له في الموسوعة الإسلامية مقالة عن ذات الهمة تطرق فيها إلى جوانب متعددة تتعلق بسيرة ذات الهمة. وضمن كتابه (Miscellanea orientalia) يفرد دراسة ل«الشخصيات الرئيسية في رواية الفروسية العربية: ذات الهمة والبطال»[41]. من مجموع كتاباته عن سيرة ذات الهمة نجده يبدأ بتقسيمها إلى قسمين اثنين، أو إلى سيرتين